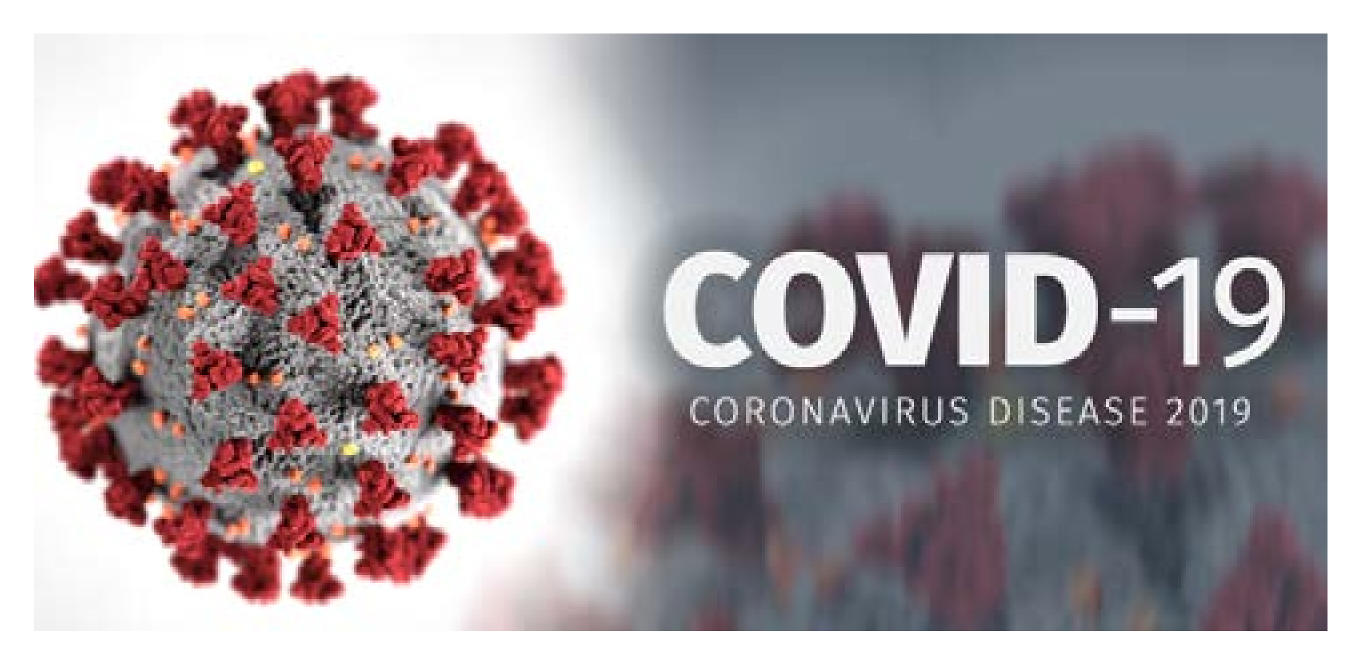
حوادث الطاعون والأوبئة

في تاريخ المسلمين





18-3-2020



السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذا استعراض لأهم حوادث الوباء والطاعون التي ضربت العالم الإسلامي بالتسلسل منذ طاعون عمواس الى القرن التاسع جمعتها من كتب التواريخ والتراجم .

-سنة 18 للهجرة : طاعون عمواس

قال ابن كثير : طاعون عمواس و عمواس موضع، في سنة ثمان عشرة من الهجرة و خمس من خلافة عمر وقع طاعون قد اشتعل بالشام و خرج عمر لقتال الروم حتى بلغ سرغ، فقيل أن الطاعون قد اشتعل بالشام فرجع عمر فقال له أبو عبيدة أفراراً من قدر الله قال نعم أفر من قدر الله إلى قدره و مات في ذلك الطاعون من المسلمين بضع و عشرين ألفاً منهم أبو عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل و شرحبيل بن حسنة و يزيد بن أبي سفيان و فيه يقول الشاعر

رب خرق مثل الهلال و بيضا ... ء حصان بالجزع من عمواس

قد لقوا الله غير راد عليهم ... و أقاموا في غير دار أساس

- واصاب اهل البصرة تلك السنة الطاعون ايضا فمات بشر كثير وجم غفير رحمهم الله ورضى عنهم اجمعين قالوا وخرج الحارث بن هشام في سبعين من اهله الى الشام فلم يرجع منهم الا اربعة فقال المهاجر بن خالد في ذلك ...

من يسكن الشام يعرس به ... والشام ان لم يفننا كارب

افنى بنى ريطة فرسانهم ... عشرون لم يقصص لهم شارب

ومن بنى اعمامهم مثلهم ... لمثل هذا يعجب العاجب

طعنا وطاعونا مناياهم ... ذلك ما خط لنا الكاتب

–سنة 53 للهجرة . قال الواقدى وفى هذه السنة وقع فى مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها

–سنة 79 للهجرة :قال ابن الأثير : في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر، فهلك به خلق كثير، فماتت أم عبيد الله، فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها، وهو الأمير.

قال ابن كثير : ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ولم يغز فيها أحد من أهل الشام لضعفهم وقلتهم ووصلت الروم فيها انطاكية فأصابوا خلقا من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة

–سنة 86 للهجرة : قال ابن كثير :

وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمي بذلك

–سنة 107 للهجرة :قال ابن كثير وفيها وقع بالشام طاعون شديد

–سنة 115 للهجرة : قال : ففيها وقع طاعون بالشام

–116 للهجرة : قال وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق وكان معظم ذلك في واسط.

سنة 158 قال الواقدي وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غفير منهم أفلح بن حميد وحيوة بن شريح ومعاوية بن صالح بمكة وزفر الهذيل ين قيس بن سليم ثم ساق نسبه إلى معد بن عدنان يقال له التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة وأكثرهم استعمالا للقياس وكان عابدا اشتغل أولا بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس ولد سنة ست عشر ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا

-167 للهجرة

وفيها وقع وباء شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة وأظلمت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تعالى النهار وكان ذلك لليال بقين من ذي الحجة من هذه السنة

-سنة 213 للهجرة قال ابن الأثير :

ضيق المسلمون على سرقوسة، فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير، وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين، هلك فيه كثير منهم، وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات، وولي الأمر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري، فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم، تحملوا في مراكبهم ليسيروأن فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسي، فمنعوا المسلمين من الخروج.

فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم، وعادوأن ورحلوا إلى مدينة ميناو، فحصروها ثلاثة أيام، وتسموا الحصن، فسار طائفة منهم إلى حصن جرجنت، فقاتلوا أهله، وملكوه، وسكنوا فيه، واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا.

ثم ساروا إلى مدينة قصريانة ومعهم فيمي، فخرج أهلها إليه، فقبلوا الأرض بين يديه، وأجابوا إلى أن يملكوه عليهم، وخدعوه، ثم قتلوه.

258 للهجرة

قال ابن الجوزي في المنتظم : وظهر بالاهواز والعراق وباء وانتشر ذلك الى حدود فيد وكان كل يوم يموت ببغداد خمسمائة الى ستمائة وكانت هدات كثيرة بالبصرة تساقط منها اكثر المدينة ومات فيها اكثر من عشرين الف انسان

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

ثم استوخم أبو أحمد منزله فانتقل إلى واسط فنزلها في أوائل شعبان فلما نزلها وقعت هناك زلزلة شديدة وهدة عظيمة تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة ومات من الناس نحو من عشرين ألفا وفيها وقع في الناس وباء شديد وموت عريض ببغداد وسامرا وواسط وغيرها من البلاد وحصل للناس ببغداد داء يقال له القفاع وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان اخذ رجل من باب العامة بسامرا ذكر عنه أنه يسب السلف فضرب ألف سوط حتى مات

سنة 261 للهجرة : قال ابن الأثير

وفيها كان بإفريقية وبلاد المغرب والأندلس غلاء شديد، وعم غيرها من البلاد، وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيه كثير من الناس.

–سنة 297 للهجرة : قال ابن كثير : وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات فيه سبعة آلاف إنسان.

سنة 289 للهجرة قال : ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين –

اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر فقتلوا خلقا وأسروا نحوا من خمسة عشر ألفا من الذرية ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى فتركوا في الطرق لا يوارون

–301 فيها قتل الحلاج

ووقع في هذه السنة في آخرها ببغداد وباء شديد جا مات بسببه بشر كثير ولا سيما بالحربية غلقت عامة دورها

–332 للهجرة

وفيها أقبلت طائفة من الروس في البحر إلى نواحي أذربيجان فقصدوا بردعة فحاصرها فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نسائهم ثم مالوا إلى المراغة فوجدوا بها ثمارا كثيرة فأكلوا منها فأصابهم وباء شديد فمات أكثرهم وكان إذا مات أحذهم دفنوا معه ثيابه وسلاحه فأخذه المسلمون وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقتل منهم وفي ربيع الأول منها جاء الدمستق ملك الروم إلى رأس العين في ثمانين إلفا فدخلها ونهب ما فيها وقتل وسبي منهم نحوا من خمسة عشر ألفا وأقام بها ثلاثة أيام فقصدته الأعراب من كل وجه فقاتلوه قتالا عظيما حتى انجلى عنها وفي جمادى الأولى منها غلت الأسعار ببغداد جدا وكثرت الأمطار حتى تهدم البناء ومات كثير من الناس تحت الهدم وتعطلت أكثر الحمامات والمساجد من قلة الناس ونقصت قيمة العقار حتى بيع منه بالدرهم

ما كان يساوي الدينار وخلت الدور وكان الدلالون يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول وكثرت الفتن من كل جهة فإنا لله وإنا إليه راجعون ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

–سنة 344 للهجرة

قال ابن الجوزي : فمن الحوادث فيها انه حدث فى ابتداء المحرم باصبهان علة مركبة من الدم والصفراء فشملت الناس فربما هلك جميع من فى الدار وكان اصلح حالا من تلقاها بالقصد وكانت بقية العلة قد طرأت على الأهواز وبغداد وواسط واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم الف نفس

قال ابن الأثير : في هذه السنة كان بخراسان والجبال وباء عظيم هلك فيه خلق كثير لا يحصون كثرةً.

–سنة 377 للهجرة : قال ابن الجوزي في المنتظم : وفى ذى الحجة وقع مع الغلاء وباء عظيم

–سنة 401 للهجرة : قال ابن الأثير : في هذه السنة اشتد الغلاء بخراسان جميعها، وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، فكان الإنسان يصيح: الخبز الخبز ! ويموت، ثم تبعه وباءٌ عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى.

–سنة 406 للهجرة قال ابن كثير :

يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض ثم سكن الفتنة الوزير فخر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشرواء من تعليق المسوح والنوح وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحافرين والناس عن دفن موتاهم وأنه أظلت البلد سحابة في حزيران فأمطرتهم مطرا شديدا وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبيين والمظالم والحج وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضي وقرئ تقليده بحضرة الاعيان وكان يوما مشهودا وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا وسلم ستة آلاف وأنهم شربوا بول الإبل من العطش

–سنة 423 للهجرة : قال ابن الأثير : فيها كان بالبلاد غلاء شديد، واستسقى الناس فلم يسقوا، وتبعه وباء عظيم، وكان عاماً في جميع البلاد بالعراق، والموصل، والشام، وبلد الجبل، وخراسان، وغزنة، والهند، وغير ذلك، وكثر الموت، فدفن في أصبهان، في عدة أيام، أربعون ألف ميت، وكثر الجدري في الناس، فأحصي بالموصل أنه مات به أربعة آلاف صبي، ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب، وكثرة الموت، وممن جدر القائم بأمر الله وسلم.

–سنة 439 للهجرة قال ابن كثير

فيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة بسبب جيف الدواب التي ماتت فمات فيها خلق كثير حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا وفيها وقع غلاء شديد أيضا ووقعت فتنة بن الروافض والسنة ببغداد قتل فيها خلق كثير

وقال ابن الأثير : فيها كان ببغداد والموصل، وسائر البلاد العراقية والجزرية، غلاء عظيم، حتى أكل الناس الميتة، وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس، حتى خلت الأسواق، وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى، حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار، ومن اللوز بخمسة عشر قيراطاً، والرمانة بقيراطين، والخيارة بقيراط، وأشباه ذلك.

– سنة 448 ثمان وأربعين وأربعمائة

وفيها رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيرا واعترى الناس موت كثير واغبر الجو وفسد الهواء قال ابن الجوزي وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها هذا لفظه في المنتظم

–سنة 449 للهجرة :

قال ابن الجوزي : وفي جمادي الآخرة ورد كتاب من تجار ما وراء نهر قد وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف زائد عن الحد حتى انه خرج من هذا الاقليم في يوم واحد ثمانية عشر الف جنازة واحصى من مات الى ان كتب هذا الكتاب فكانوا الف الف وستمائة الف وخمسين الفا والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون الا اسواقا فارغة وطرقات خالية وابوابا مغلقة حتى ان البقر نفقت وجاء الخبر من آذربيجان وتلك الاعمال بالوباء العظيم وانه لم يسلم الا العدد القليل ووقع وباء بالاهواز وأعمالها وبواسط وبالنيل ومطير اباذ والكوفة وطبق الارض حتى كان يحفر للعشرين زبية فيلقون فيها وكان اكثر سبب ذلك الجوع وكان

الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور فيشوون الموتى ويأكلونها وكان لرجل جريبان ارضا دفع اليه في ثمنها عشرة دنانير فلم يبعها فباعها حينئذ بخمسة ارطال خبز وأكلها ومات من وقته وطويت التجارات وامور الدنيا وليس للناس شغل في الليل والنهار الا غسل الاموات والدفن وكان الانسان قاعدا فينشق قلبه عن دم المهجة فخرج الى الفم منه قطرة فيموت الانسان وتاب الناس كلهم وتصدقوا بمعظم اموالهم واراقوا الخمور وكسروا المعازف ولزموا المساجد لقراءة القرآن خصوصا العمال والظلمة وكل دار فيها خمر يموت اهلها في ليلة واحدة ووجدوا دار فيها ثمانية عشر نفسا موتى ففتشوا متاعهم فوجدوا خابية خمر فاراقوها ودخلوا على مريض طال نزعه سبعة ايام فاشار باصبعه الى خايبة خمر فقبلوها وخلصه الله تعالى من السكرة فقضى وقبل ذلك كان من يدخل هذه الدار يموت ومن كان مع امرأة حراما ماتا من ساعتهما وكل مسلمين بينهما هجران وأذى فلم يصطلحا ماتا معا ومن دخل الدار ليأخذ شيئا مما قد تخلف فيها وجدوا المتاع معه وهو ميت ومات رجل كان مقيما بمسجد فخلف خمسين الف درهم فلم يقبلها احد ووضعت في المسجد تسعة ايام بحالها فدخل اربعة انفس ليلا الى المسجد وأخذوها فماتوا عليها وتوصى الرجل الرجل فيموت الذي اوصى اليه قبل الموصى وخلت اكثر المساجد من الجماعات وكان ابو محمد عبد الجبار بن محمد الفقيه معه سبعمائة متفقه فمات وماتوا سوى اثنى عشر من الكل ودخل رجل على ميت وعليه لحاف فأخذه فمات ويده في طرف اللحاف وباقية على الميت ودخل دبيس بن علي بلاده فوجدها خرابا لا اكاربها ولا عاملة حتى انه انفذ رسولا الى بعض النواحي فلقيه جماعة فقتلوه وأكلوه وجمع العميد ابو نصر الناس من الطرقات للعمل في دار المملكة وفيهم الهاشميون والقضاة والشهود والنجار فكانوا يحملون اللبن على اكتفاهم وايديهم عدة أسابيع

انتهى .

قال ابن كثير :

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها وأهلها موتى فيها ثم صار المار في الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ووجد مع امرأة فخذ كلب قد أخضر وشوى رجل صبية

في الأتون وأكلها فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان وأحصى من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية وأبوابا مغلقة ووحشة وعدم أنس حكاه ابن الجوزي قال وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا قال ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها حتى طبق البلاد وكان أكثر سبب ذلك الجوع كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي فلا يجد ذلك وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ودخل على مريض له سبعة أيام في النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته

بسهولة ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها فلم يخرج من المسجد منهم أحد حي بل ماتوا جميعا وكان الشيخ أبو محمد عبدالجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ولما اصطلح السلطان دبيس بن علي رجع إلى بلاده فوجدها خرابا لقلة أهلها من الطاعون فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه

-سنة 455 للهجرة

وقع بمصر وباء شديد كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة وفيها

-456 للهجرة

قال ابن الجوزي : في ذي القعدة وكان تشرين الاول وامتد الى تشرين الثاني حدث وباء عظيم تفاقم بنهر الملك وتعدى الى بغداد وكان فيها حر شديد وفساد هواء وزيادة انداء وعدم التمر الهندي حتى بلغ الرطل منه اربع دنانير

وقال ابن كثير :

وفي ذي القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق وغلت أسعار الأدوية وقل التمر الهندي وزاد الحر في تشرين وفسد الهواء

-457 للهجرة قال ابن كثير : ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

وفي صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضا شديدا انتفخ منه حلقه وامتنع من الفصد فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الغرق الأول فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس التلول تحت المطر ووقع وباء عظيم بالرحبة فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وارض خراسان وغيرها والله أعلم

-سنة 461 للهجرة :

قال المقريزي في اتعاظ الحنفا :

وعم مع الغلاء وباء شديد ؛ وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد . فانقطعت الطرقات براً وبحراً إلا بالخفارة الكبيرة مع ركوب الغرر . وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل كما تباع التحف والطرق في النداء : خراج خراج فبلغ أربعة عشر درهما ؛ وبيع أردب قمح بثمانين ديناراً . ثم عدم ذلك كله ، وأكلت الكلاب والقطط ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير . وأبيعت حارة بمصر بطبق خبز ، حساباً عن كل دار رغيف ، فعرفت تلك الحارة بعد ذلك بحارة طبق ، وما زالت تعرف بذلك حتى دثرت فيما دثر من خطط مصر . وأكل الناس نحاتة النخل ؛ ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا . وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتاً قصيرة السقوف قريبةً ممن يسعى في الطرقات ، فأعدوا سلباً وخطاطيف ، فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ، ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه . قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط : حدثني بعض نسائنا الصالحات قالت : كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر ،

فتقول : أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة ، فأخذني إنسان ، وكنت ذات جسم وسمن ، فأدخلني بيتاً فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتيل ، فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلباً إلى أوتاد حديد ، عريانةً ، ثم شرح من أفخاذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبني ، ثم أضرم الفحم وأسوى من لحمي وأكل أكلاً كثيراً ؛ ثم سكر حتى وقع على جنبيه لا يعرف أين هو ؛ فأخذت في الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد ، وأعان الله على الخلاص ، وخلصت ، وحللت الرباط ، وأخذت خروقا من داره ولففت بها أفخاذي ، وزحفت إلى باب الدار وخرجت أزحف إلى أن وقعت إلى الناس ، فحملت إلى بيتي ، وعرفتهم بموضعه ، فمضوا إلى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه ؛ وأقامت الدماء في أفخاذي سنةً إلى أن ختم الجرح ، وبقي هكذا حفرا .

وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نخ أو حصير ؛ وتعطلت دواوينه وذهب وقاره ، وخرج من نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن : الجوع الجوع ، وهن يردن المسير إلى العراق ، فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهرة ، ومتن جوعاً . جاء الوزير يوماً على بغلة فأكلها العامة ، فأمر بهم فشنقوا ، فاجتمع الناس على المشنقين وأكلوهم . وعدم المستنصر القوت جملةً حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ما كان لها من البر والصدقات في سني هذا الغلاء ، حتى أنفقت مالها كله ، وكان يجل عن الإحصاء ، في سبيل البر ؛ فلم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه ، وهو مرة واحدة في اليوم ، لا يجد غيره . وبعث بأولاده إلى الأطراف لعدم القوت ، فسير الأمير عبد الله إلى عكا فنزل عند أمير الجيوش ، وأرسل الأمير أبا علي معه ؛ وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان ، وسيره أولا إلى دمياط ؛ ولم يترك عنده سوى ابنه أبي القاسم أحمد .

انتهى .

-469 للهجرة : قال ابن الأثير : وفيها كان بالجزيرة، والعراق، والشام وباء عظيم، وموت كثير، حتى بقي كثير من الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس.

-492 للهجرة قال ابن كثير :

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة

وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد حتى مات كثير من الناس جوعا وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم

قال ابن الأثير : ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم.

-سنة 498 للهجرة قال ابن الاثير : وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان، لا سيما العراق، فإنه كان به كله، ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبعه وباء كثير، وموت عظيم.

-سنة 505 للهجرة . قال المقريزي في اتعاظ الحنفا

وفيها حدث بمصر وباء مفرط ، هلك به تقدير ستين ألف نفس .

-سنة 537 للهجرة : قال ابن الاثير : وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك فيه أكثر أهل البلاد.

-سنة 542 للهجرة : قال ابن الأثير: فيها أشتد الغلاء بإفريقية ودامت أيامه، فإن أوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وعظم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضاً، وقصد أهل البوادي المدن من الجوع، فأغلقها أهلها دونهم، وتبعه وباء وموت كثير، حتى

خلت البلاد، وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد، وسار كثير منهم إلى صقيلية في طلب القوت، ولقوا أمراً عظيماً.

–

– سنة 574 ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

ذكر الغلاء والوباء العام

في هذه السنة انقطعت الأمطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزيرة والبلاد العراقية، والديار بكرية، والموصل وبلاد الجبل وخلاط، وغير ذلك، واشتد الغلاء، وكان عاماً في سائر البلاد، فبيعت غرارة الحنطة بدمشق، وهي اثنا عشر مكوكاً بالموصلي، بعشرين ديناراً صورية عتقاً، وكان الشعير بالموصل كل ثلاثة مكاكي بدينار أميري، وفي سائر البلاد ما يناسب ذلك.

واستسقى الناس في أقطار الأرض، فلم يسقوا ، وتعذرت الأقوات، وأكلت الناس الميتة وما ناسبها، ودام كذلك إلى آخر سنة خمس وسبعين؛ ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام أيضاً، كثر فيه الموت، وكان مرض الناس شيئاً واحداً، وهو السرسام، وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى، إلا أن بعض البلاد كان أشد من البعض.

ثم إن الله تعالى رحم العباد والبلاد والدواب وأرسل الأمطار، وأرخص الأسعار.

ومن عجيب ما رأيت أنني قصدت رجلاً من العلماء الصالحين بالجزيرة لأسمع عليه شيئاً من حديث النبي، عليه السلام، في شهر رمضان سنة خمس وسبعين، والناس أشد ما كانوا غلاء وقنوطاً من الأمطار، وقد توسط الربيع ولم تجئ قطرة واحدة من المطر، فبينا أنا جالس ومعي

جماعة ننتظر الشيخ، إذ أقبل إنسان تركماني قد أثر عليه الجوع، وكأنه قد أخرج من قبر، فبكى وشكا الجوع، فأرسلت من يشتري له خبزاً، فتأخر إحضاره لعدمه، وهو يبكي ويتمرغ، على الأرض ويشكو الجوع، فلم يبقى فينا إلا من بكى رحمة له وللناس، ففي الحال تغيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة، فضج الناس واستغاثوا،ثم جاء الخبز، فأكل التركماني بعضه، وأخذ الباقي بعضه، وأخذ الباقي ومشى واشتد المطر ودام المطر من تلك الساعة

فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين فمات بسبب ذلك خلق كثير وامم لايعلم عددهم إلا الله

581- المقريزي في السلوك لمعرفة الملوك

وفي شعبان ورمضان : وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة، وكثر الوباء في الدجاج أيضا

سنة 633 للهجرة –

فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثر، بلغت عدقم زيادة على اثني عشر ألفاً، سوى من مات بالريف

المقريزي

–سنة 671 . قال : وفي هذه السنة: كان بمصر وأريافها وباء، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال –مقريزي

–694 قال المقريزي : ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم في القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

–700 : قال المقريزي : وفيها فنيت أبقار أرض مصر: وذلك إنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدواليب ووقفت أحوال السواقي، وتضرر الناس من ذلك. وكان لرجل من أهل أشمون طناح ألف وأحد وعشرون رأساً من البقر، مات منها ألف وثلاثة أرؤس وبقي له ثمانية عشر رأساً لا غير. واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم.

–سنة 716 للهجرة : وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.

–سنة 735 للهجرة : قال المقريزي :وفيها وقع بالمدينة النبوية وباء، فكان يموت في كل يوم خمسه عشر بمرض الخوانيق، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة.

–سنة 750 للهجرة : قال المقريزي : ووقع.بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادي.

–سنة 787 للهجرة : وفيها كان بحلب وباء، بلغ عدة من مات في كل يوم ألف إنسان وزيادة.

–سنة 791 للهجرة : استقر قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في مشيخة الخانقاة الركنية بيبرس، عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر بعد موته.

وفي سابع عشرينه: ورد الخبر من غزة بكسرة الأسراء والممالك في محاربة الناصري، واستيلائه على دمشق، وقتل الخليلي، والقبض على الأمير أيتمش وغيره، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد. وكان في البلد وباء، والناس في شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنعت القالة.

–794 للهجرة قال المقريزي : وَفي هذا الشهر: وقع وباء في البقر، حتى أبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذاراً له. وعم الوباء في البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر.

–797 للهجرة : قد حدث ببغداد وباء عظيم، واشتد بها الغلاء

–800 للهجرة : وفي هذا الشهر: وقع بالوجه البحري وباء، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر. وكان قد خرج جماعة من الأمراء إلى الصعيد فمرض أكثرهم، وعاد الأمير قَلْمطاي الدوادار في يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهو مريض، لا يثبت على الفرس.

–سنة 813 للهجرة وفي هذا الشهر ذي الحجة: فشا الطاعون بدمشق وضواحيها. وكان في أول هذا العام وباء ببلاد فلسطين وحوران وعجلون ونابلس وطرابلس، فمات خلق كثير جداً، وانحلت الأسعار بديار مصر في آخر هذه السنة، فأبيع الأردب القمح بمائة وثلاثين فما دونها، والأردب الشعير بثمانين درهما فما دونها، والأردب الفول بمائة فما دونها.

هذا والدينار الأفرنتي بمائتي درهم من الفلوس، والمثقال الهرجة بمائتي درهم وعشرين درهما، والدينار الناصري – وهو على وزن الأفرنتي – بمائتي درهم الدينار، وبطل الدينار السالمي الذي ضربه الأمير يلبغا السالمي في أيام ولايته، وكان يتعامل به عدداً به، فمنه ما زنته مثقال، ومنه ما زنته نصف مثقال وربع مثقال، وعليه سكة أهل الإسلام، فاستحسنه الناس، وراج بينهم، فأراد السلطان أن يكون له اسم في ذلك، فجدد ضرب الدينار الناصري على وزن الأفرنتي، وأكثر من ضربه، فراج كرواج الأفرنتي، وقل السالمي في أيدي الناس، لكن دخل الغش في الناصري والأفرنتي، فصار ما ذكرنا بأيدي الناس من الذهب، شيء يقال له خارج الدار، وهو يعمل بغير دار الضرب افتئاتا على السلطان، وينقص سعره قليلاً، وشيء يقال له التركي، وهو دينار من بلاد الفرنج، وسعره أقل من سعر الأفرنتي، ودينار آخر يقال له المغربي، يجلب من بلاد المغرب، عليه سكة أهل الإسلام، ودينار من ضرب الإسكندرية، وأما الفلوس، فإنها النقد الرائج بديار مصر كلها، حاضرتها وريفها، إليها حسب أثمان المبيعات كلها، وقيم الأعمال بأجمعها، ويتعامل بها كما قرره السالمي وزناً، على أن كل رطل مصري منها بستة دراهم، وبلغت الفضة النقرة التي لم تغش بثلاثة عشر درهماً من الفلوس، زنة كل درهم منها، وقلت الفضة الكاملية، فلم تكد توجد.

–سنة 833 للهجرة

وفيه فشى الطاعون في الوجه البحري، سيما في التحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جداً بحيث أحصي من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. ومن ناحية صا زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق في شعبان في السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر. وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدركناه وقوع الطاعون إلا في فصل الربيع. ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط في الربيع،

وجمودها في الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد. وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها في كل يوم على ألفي وخمسمائة إنسان. وأما القاهرة فإنه جرى على ألسنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع في الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا في الطرقات. فلما أهل شهر ربيع الآخر هذا: كانت عدة من ورد الديوان فيه من الأموات اثني عشر إنساناً، وأخذ يتزايد في كل يوم حتى بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة في يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنساناً. وجملة من أحصاه ديوان القاهرة في الشهر كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنساناً. وبلغ ديوان المواريث بمدينة مصر دون ذلك. هذا سوى من مات بالمارستان، ومن جهز من ديوان الطرحاء على الطرقات من الفقراء، وهم كثير.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس: فيه برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة إلى خارج القاهرة، وقد توجه معه كثير من الناس يريدون العمرة والحج. وفيه بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة مائة، على أنهم لا يرفعون في أوراقهم إلى الوزير وغيره إلا بعض من يرد، لا كلهم.

وفيه نودي في الناس بصيام ثلاثة أيام، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم. ويخرجوا من المظالم، ثم يخرجوا في يوم الأحد رابعه إلى الصحراء. هذا والحكام والولاة على ما هم عليه.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وفي يوم الأحد رابعه: خرج قاضي القضاة علم الدين صالح في جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برقوق فوعظ الناس على عادته في عمل الميعاد، فكثر ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاؤهم في دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت وفي هذا الشهر: شنع الموتان الوحي السريع

بالطاعون، والنزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان في أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر في الأطفال والشباب، ثم في العبيد والإماء، وأقله في النساء والرجال. وتجاوز في مدينة مصر الفسطاط المائتين في كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز في القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه في مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه في ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية – خاصة – إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثر جداً. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية في كل يوم نحو المائة. وشمل الوباء عامة البحيرة الغربية والقليوبية.

وفي العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التي بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بنية كبيرة، فإذا هي كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد في البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر بوقوع الوباء ببلاد الفرنج.

وفي يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التي صلي عليها، فبلغت ألفين ومائة، ولم يورد في أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف.

وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثني عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادي السمك كانوا في موضع فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر، حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضاً. وركب أربعون رجلاً في مركب، وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهي راكبة على حمار مكاري، فماتت وهي راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله، حتى بدأ تغير ريحها، فدفنت، ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعاً، مع شدة

برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سريا قوس، حتى بلغت العدة في كل يوم نحو المائتين، وكثر أيضاً بالمنوفية والقليوبية، حتى كاد يموت في الكفر الواحد في كل يوم ستمائة إنسان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة: فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصي في يوم الاثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة، فبلغت عدتهم ألفاً ومائتي ميت، سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناساً عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولا يردون الديوان أسماءهم.

وفي هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى، على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتاً وحيا سريعاً في ساعة وأقل منها وعظم الوباء في المماليك السلطانية – سكان الطباق بالقلعة – الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت في اليوم زيادة على الخمسين مملوكاً، وشنع الموت. بمدينة فوه ومدينة بلبيس، ووقع ببلاد الصعيد الأدنى. وانقطع الوباء من البحيرة والنحريرية، وكثر بمدينة المحلة.

وفي يوم الخميس سابعه: أحصي من صلى عليه من الأموات في المصليات المشهورة خاصة، فكانوا نحو الألف ومائتي ميت، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد في ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين، وفي ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط في يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة، فكانوا ألفاً ومائتين وثلاثاً وستين، لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة، فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوف، فلم يقدر له على تابوت، حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان – مع كثرتهم وشدتهم –

على تابوت له، حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة، وهي من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه في يوم الاثنين حادي عشره في المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن الذي ضبط الكثير، ممن لم يصل عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة في يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت، ومثل ذلك في مصلى المؤمني تحت القلعة، وكان يصلي على أربعين ميتاً معاً، فما تنقضي الصلاة على الأربعين جميعاً، حتى يؤتي بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفاً وثلاثمائة ميت. واتفق في هذا الوباء غرائب منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف، ما بين رجل وامرأة، صغير وكبير، ففنوا بالطاعون، حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل، وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنساناً، وأصبحوا، فإلى أن يأخذوا في دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعاً بالحلقة انتقل في أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات، تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء، وتزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش، فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدي وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها في المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيراً من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التي أدركناها.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفاً، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا – هم والناس – على أرجلهم، فدعوا الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفاً إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعاً، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا، وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وأنه عمل هذا ببلاد المشرق في وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء يتناقص في كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد، وببوادي العرب، وبمدينة حماة، ومدينة حمص. ووجد في بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات، وجد في كل واحدة منهن كبة في ناحية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغداء وتشرب مرة واحدة في اليوم، ثم هلكت بعد ثلاث.

أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة، إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل في ثامن عشر جمادى الآخرة، ودخل فصل الربيع، فشا الموت في أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة، بعد ما كان في الأطفال والخدم، وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت مدتها، بعد ما كان الموت وحيا فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع في هذا الوباء ما لم يعهد مثله إلا في النادر، وهو خلو دور كثيرة جداً من جميع من كان بها، حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضاً الموت والأمراض في المماليك السلطانية، بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن علي بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب

الدين، وقد عين كتابة السر، فأخبرني – رحمه الله – أنه خرج من بين يدي السلطان حتى وجد واحداً من المماليك خارج القصر، فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.

–833 للهجرة : فكانت هذه السنة ذات مكاره عديدة من أوبئة شنعة، وحروب وفتن، فكان بأرض مصر – بحريها وقبليها – وبالقاهرة ومصر وظواهرهما، وباء مات فيه – على أقل ما قيل – مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلي والوجه البحري، وهم مثل ذلك، وغرق ببحر القلزم في شهر ذي القعدة مركب فيه حجاج وتجار يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاث رجال، وهلك باقيهم، وهلك في ذي القعدة أيضاً بطريق مكة – فيما بين الأزلم وينبع – بالحر والعطش ثلاثة آلاف ويقول المكثر خمسة آلاف، وغرق بالنيل في مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء، هلك فيه خلائق لا يحصى عددها إلا الله تعالى.

–سنة 838 للهجرة : قال المقريزي : وفيها وقع وباء عظيم ببلاد كرمان. وأبتدأ في مدينة هراة من بلاد خراسان، في شهر ربيع الأول، وشنع، فمات فيه عالم عظيم، يقول المكثر ثمانمائة ألف.

–سنة 839 للهجرة : كان قد وقع بعدن – من بلاد اليمن وباء استمر أربعة أشهر، آخرها شعبان. هذا بعد ما طبق بلاد الحبشة بأسرها، وامتد إلى بربرة.

وقد شنع ببلاد الزنج. ثم كان بعدن فمات بها – أعني عدن – عالم عظيم قدم علينا منها بمكة كتاب موثوق به يخبر أنه مات بعدن في هذه الأربعة أشهر – خاصة ممن عرف اسمه – سبعة آلاف وثمانمائة. وفي كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس، ولم يبق إلا نحو من الناس. وفي كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها، وأن الوباء ارتفع منها آخر شهر شعبان، وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة.

–سنة 843 للهجرة : قال المقريزي : وفي هذا الشهر والذي قبله: وقع بالطائف ووج ولية وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم، هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، بحيث صارت أنعامهم هملًا، وأخذها من ظفر بها. وإمتد الوباء إلى نخلة على يوم من مكة.

شهر شوال، أوله السبت: في هذا الشهر: انحل سعر الغلة، وكثر وجودها، وأبيع القمح من مائتي درهم إلى مائتين وخمسين درهمًا الأردب.

في هذا الشهر: إنحلت أسعار الغلال، ودخلت الغلة الجديدة، ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وإرتفع ثم اتضع.

–سنة 685 للهجرة

ووقع في هذه السنة وباء عظيم في المسلمين والكافرين فكان السلطان يقول في ذلك

... اقتلوني ومالكا ... واقتلوا مالكا معي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله في ثاني ذي الحجة وجماعة من كبراء الكندهرية وسادات الفرنج لعنهم الله فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا نارا عظيمة في كل خيمة وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من الجوع والضيق والحصر وأسلم خلق كثير منهم

– سنة 597 للهجرة

قال ابن كثير : ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جدا فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والاغنياء ثم اعقبه فناء عظيم حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر وأكل من الصغار والاطفال خلق كثير يشوي الصغير والداه وياكلانه وكثر هذا في الناس جدا حتى صار لا ينكر بينهم فلما فرغت الاطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبحه وأكله وكان الرجل يحتال على الفقير فيأتي به ليطعمه أو ليعطيه شيئا ثم يذبحه ويأكله وكان أحدهم بذبح امراته ويأكلها وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى بل يعذر بعضهم بعضا ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس وهلك كثير من الاطباء الذين يستدعون إلى المرضى فكانوا يذبحون ويؤكلون كان الرجل يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله وقد استدعى رجل طبيبا حاذقا وكان الرجل موسرا من أهل المال فذهب الطبيب معه على وجل وخوف فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر الله ويسبحه ويكثر من ذلك فارتاب به الطبيب وتخيل منه ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره فإذا هي خربة فارتاب الطبيب

أيضا فخرج صاحبه فقال له ومع هذا البطء جئت لنا بصيد فلما سمعها الطبيب هرب فخرجا خلفه سراعا فما خلص إلا بعد جهد وشر وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن وكانوا عشرين قرية فبادت منها ثماني عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته نعوذ بالله من باس الله وعذابه وغضبه وعقابه أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم بل هم على حالهم لم يفقد منهم أحد فسبحان الحكيم العليم

-سنة 640

وفيها وقع من الحوادث أنه كان بالعراق وباء شديد في آخر أيام المستنصر وغلا السكر والأدوية فتصدق الخليفة

المستنصر بالله

رحمه الله بسكر كثير على المرضى تقبل الله منه

-656 للهجرة سقوط بغداد

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فالله أعلم

-764 للهجرة

وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان فتزايد وجمهوره في اليهود وقد وصلوا إلى الخمسين في كل يوم وبالله المستعان

سير أعلام النبلاء :

وفي سنة ثمان مبدأ فتنة البساسيري، وخطب بالكوفة وواسط وبعض القرى للمستنصر العبيدي (3)، وكان القحط عظيما بمصر وبالاندلس، وما عهد قحط ولا وباء مثله بقرطبة، حتى بقيت المساجد مغلقة بلا مصل، وسمي عام الجوع الكبير (4).

وفي سنة تسع أخذ طغرلبك الموصل، وسلمها إلى أخيه ينال، وكتب في ألقابه: ملك المشرق والمغرب.

وفيها كان الجوع المفرط ببغداد والفناء، وكذلك ببخارى وسمرقند حتى يقال: هلك بما وراء النهر ألف ألف وست مئة ألف

ابن العماد في شذرات الذهب :

سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فيها كان وباء عام في بلاد المسلمين والكفار مات به من لا يحصى كثرة

ابن السيد الصومالي الشافعي